عن «البيان الاماراتية»

عن «الوطن القطرية»

عن «الشرق الاوسط»

إرهاب «القاعدة» في الصحراء الافريقية

باتريك سيل *

يعتبر إعلان تنظيم «القاعدة» هذا الأسبوع (الماضي) عن إعدام رجل فرنسي مريض في الثامنة والسبعين من العمر يدعى ميشال جيرمانو، وسط المساحات القاحلة الواسعة في الصحراء الكبرى بمثابة إعلان حرب في باريس، وهو «عمل بربري لن يمر من دون عقاب»، كما أعلن الرئيس نيكولا ساركوزي الذي بدا الاستياء واضحا على وجهه وهو يتحدث من قصر الإليزيه. ويبدو جيرمانو الذي أسرته «القاعدة» في النيجر في ١٩ نيسان وأبقته أسيرا لديها منذ ذلك الحين، وكأنه شخص غريب الأطوار يعمل لخير البشر، وقد سافر إلى أفريقيا في مهمة إنسانية خاصة. ومع أنه كان مريضا بالقلب، رفض محتجزوه توفير أي دواء له. وقد هددوا بقتله في ٢٦ تموز في حال لم يتم إطلاق سراح بعض رجالهم المحتجزين في موريتانيا. إلا أن مطالبهم كانت غامضة ولم يحددوا أسماء الرجال الذين أرادوا أن يتم إطلاق سراحهم. وساد الظن في أحد الأوقات أن تنظيم «القاعدة» يطالب بإطلاق سراح رجل يمضي عقوبة السجن المؤبد في فرنسا بتهمة شن هجوم مميت على محطة مترو «سان ميشال» في باريس في العام ١٩٩٥، أدى إلى مصرع ثمانية أشخاص وجرح مئة آخرين. ولكن الأمر لم يتم تأكيده، وبقي هدف تنظيم «القاعدة» الفعلي من تهديد جيرمانو بالإعدام مشوبا بالغموض. وفي محاولة حصلت في اللحظة الأخيرة لتحريره، شنت قوة مشتركة من الجيشين الموريتاني والفرنسي هجوما على أحد مراكز قيادة تنظيم «القاعدة» في المناطق الصحراوية الواقعة شمالي مالي في تاريخ ٢٢ تموز، ما تسبب بمقتل ستة مقاتلين إسلاميين، من دون أن يتم العثور على جيرمانو. وردا على الهجوم، وجه قائد تنظيم «القاعدة» في منطقة الصحراء تحذيرا يجمد الدم في العروق إلى فرنسا، بثته قناة «الجزيرة»، وزعم فيه أبو مصعب عبدالودود، المعروف بلقب «الأمير دروكدال»، أن تصفية جيرمانو جاءت انتقاما لوفاة مقاتليه الستة. وأعلن أن ساركوزي فتح أبواب جهنم على نفسه وعلى شعبه وبلاده. وبدا وكأنه يهدد بنقل الحرب الإرهابية إلى فرنسا.

ويرى عدد من الخبراء الفرنسيين أن رواية إعدام جيرمانو هي رسم من رسوم الخيال، وأنه من الممكن أن يكون قد مات منذ أسابيع عدة بسبب المرض وبسبب الظروف القاسية التي اختبرها في الأسر. ولكن في مطلق الأحوال، أعلن تنظيم «القاعدة» في الصحراء أنه عدو لدود للدولة الفرنسية. وفي الأسبوع (الماضي)، عمد الرئيس ساركوزي إلى إرسال وزير خارجية حكومته، برنار كوشنير، في جولة إلى موريتانيا والنيجر ومالي لطمأنة المهاجرين الفرنسيين – والحكومات التي استقبلتهم – أن فرنسا تستمر في دعمهم. ويرى جان بيار فيليو، وهو احد ابرز الخبراء الفرنسيين في شؤون تنظيم «القاعدة» وأستاذ علوم سياسية (في معهد الدراسات السياسية في باريس)، أن تنظيم «القاعدة» في الصحراء قد لا يملك أكثر من كتيبتين كثيفتي الحركة، تضم كل منهما مئة وخمسين رجلا، وتدير إحداهما عملياتها في شرق المنطقة، فيما تعمل الثانية في الغرب. ويسود الظن بأن «الأمير دروكدال»، وهو ناج مخضرم من الحرب الأهلية القاسية التي شهدتها الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي، اتخذ مقرا له في مكان ما في جنوب الجزائر. وتستنبط هاتان الكتيبتان التابعتان لتنظيم «القاعدة» قوتهما وفاعليتهما في شكل أساس من الصفقات التي تبرمانها مع العصابات في المنطقة، التي تهرب المخدرات والأسلحة والسجائر والمهاجرين غير الشرعيين. وهما تتبادلان الخدمات مع هذه العصابات التي تعمل أحيانا على خطف الأجانب وعلى تسليمهم إلى تنظيم «القاعدة». ويشرح فيليو قائلا إنه «في حين أن تنظيم «القاعدة» يطوع جنودا مشاة قادمين من الدول الأفريقية التي يعمل فيها، ينتمي المسؤولون الكبار في التنظيم إلى الإسلاميين الجزائريين الذين ازدادوا قسوة في أعقاب الحرب الطويلة ضد النظام الجزائري في التسعينيات». عندما فاز حزب إسلامي هو «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» بالجولة الأولى من الانتخابات في الجزائر، ألغت الحكومة النتائج. وتأتى عن ذلك في العام ١٩٩٢ ظهور «الجماعة الإسلامية المسلحة» التي كرست اهتمامها لإطاحة الحكومة واستبدالها بدولة إسلامية عبر اللجوء إلى الانتفاضة المسلحة. وفي الفترة الممتدة بين العامين ١٩٩٢ و١٩٩٩، كانت «الجماعة الإسلامية المسلحة» مسؤولة عن مقتل ألف شخص على الأقل، وعن عدد مماثل من الجرحى، مع الإشارة إلى أن فرنسا، شأنها شأن بريطانيا وكندا، أدرجت هذه الجماعة على لائحة الإرهابيين لديها. وفي العام ١٩٩٨، انفصلت مجموعة من المقاتلين عن «الجماعة الإسلامية المسلحة» بحجة أن تكتيكها بالغ العنف، وأسست «الجماعة السلفية للدعوة والقتال». ويشير الواقع إلى أن الانشقاق ربما حصل بنتيجة نزاع على السلطة في أوساط الزعامة. إلا أن تطورا دراماتيكيا حصل في العام ٢٠٠٧، عندما أعلنت «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» ولاءها لأسامة بن لادن وبدلت اسمها إلى «قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي»، المعروفة أكثر باسمها الفرنسي Al-Qaida au Magrib Islamique. وقامت المهمة التي فوضها بها بن لادن على مهاجمة المصالح الفرنسية. وتجدر الإشارة إلى أن «قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي» تدير عملياتها في منطقة قليلة السكان تمتد على مساحات شاسعة بحجم أوروبا تمر بموريتانيا وشمال مالي والنيجر وتغور في أعماق جمهورية تشاد. ولا شك في أن اتساع مدى الصحراء والأرض المقفرة يسمحان بالتحرك السريع لوحدات «القاعدة» ويحولان دون رصدها وتدميرها.

ويقال إن زعيم القاعدة في موريتانيا منذ العام ٢٠٠٥ هو رجل يعرف باسم بن مختار، ويسود الظن بأنه مسؤول عن الهجمات على سياح فرنسيين في كانون الأول ٢٠٠٧ وعن هجوم على السفارة الفرنسية في نواكشوط في العام ٢٠٠٩. أما نظيره في النيجر وفي شمال مالي، فيعرف باسم أبي زيد، وهو زعيم معروف بجرأته ووحشيته. وهو كان يحتجز جيرمانو في الأسر حتى لحظة وفاة هذا الرجل الفرنسي. وفيما عدا ثلاثمئة مقاتل تابعين لـ«قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي» في الصحراء الكبرى، يقال إن الجزائر تضم سبعمئة مقاتل آخرين، وهم يستمرون في مضايقة النظام. ويشير بعض التقديرات إلى أنه منذ مطلع العام، تسببت مكامنهم بأكثر من ثمانين ضحية بين قوى الأمن الجزائرية والوحدات التي تساعدها في العمل. ومنذ العام ٢٠٠٥، تم اختطاف أكثر من مئة وخمسين شخصا، وأطلق سراح عدد كبير منهم مقابل تسديد فدية. ويبقى أن نرى ما سيكون وقع موت جيرمانو في الأسر على الحظوظ السياسية التي يملكها الرئيس ساركوزي. ويرجح أن تنعكس محاولة الإنقاذ الفاشلة في وقت سابق من الشهر الجاري على شعبيته التي تشهد تدهورا. وتمكن مقارنة الوضع بأزمة الرهائن في إيران خلال فترة ١٩٧٩ – ١٩٨٠ التي أثبتت أنها عبء سياسي كبير بالنسبة إلى جيمي كارتر الذي كان رئيسا للولايات المتحدة آنذاك. وقد تعرض كارتر لضربة قاسية عندما باءت محاولة إنقاذ الرهائن عبر شن عملية عسكرية بالفشل الذريع في نيسان ١٩٨٠، مع العلم أن المحاولة أجهضت عندما أصابت أعطال ثلاثا من مروحيات الإنقاذ الأميركية التي كانت تنفذ المهمة، وعندما اصطدمت مروحية رابعة بطائرة نقل من طراز «سي–١٣٠» خلال عملية الانطلاق العمودي الليلية. ولم يتلق ساركوزي ضربة بهذا الحجم الكبير، إلا أن أسئلة محرجة باتت تطرح عن طريقة معالجته لقضية جيرمانو المأسوية.

* كاتب بريطاني متخصص في شؤون الشرق الاوسط

عن «الحياة» اللندنية

تائهون في متاهة

مورين داود

يؤكد شلال التسريبات بشأن أفغانستان على الحقيقة المروعة، وهي أننا لا نسيطر على الأمور.

لم تكن هناك أي معركة مربكة إلى هذه الدرجة، منذ أن حارب ثيسيوس المينوتور في متاهته في الأساطير اليونانية.

كلما حاولنا فعل المزيد من أجل الدول الضعيفة التي نقوم بحمايتها، كانت هذه الدول أكثر غضبا بشأن ما نحاول القيام به. ففي الوقت الذي صادق فيه الكونغرس على تمويل إضافي للحرب بلغ ٥٩ مليار دولار يوم الثلاثاء الماضي، كانوا يعربون عن ازدرائهم.

لقد أعطت واشنطن المصارف في وول ستريت المليارات، وقامت بدورها بطعننا في الظهر، حيث سلمت ثروات من المكافآت للمحتالين الذين حطموا اقتصادنا تقريبا.

أعطت واشنطن الباكستانيين مليارات الدولارات، وبدورهم طعنونا في الظهر، حيث تعهدوا بمحاربة المسلحين في الوقت الذي يقدمون لهم المساعدة بصورة سرية.

ما نزال محل تلاعب من جانب أناس يلعبون على الجانبين.

أشار روبرت غيبس إلى أن الرئيس أوباما قال العام الماضي «لن نقدم شيكا مفتوحا» إلى باكستان «ولن نستطيع القيام بذلك».

لكن خلال الأسبوع الماضي، وصلت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون إلى باكستان لتقديم شيك مربح: مساعدات بقيمة ٥٠٠ مليون دولار للدولة التي كانت تحصل على مليار دولار مساعدات كل عام خلال معظم العقد الحالي، وفي عام ٢٠٠٩ تلقت تعهدا بـ٧,٥ مليار دولار إضافية خلال السنوات الخمس المقبلة. وتعهدت كلينتون بالتخلص من «إرث الشكوك» وإظهار أن «هناك أمورا كثيرة للغاية يمكننا إنجازها سويا كشركاء مرتبطين في قضية مشتركة».

وقال غيبس إن طوفان وثائق الحرب المحزنة من موقع الوشاة «ويكيليكس»، التي نقلتها صحيفة «نيويورك تايمز» وغيرها من الصحف، عبارة عن أخبار قديمة. لكن هذه الوثائق عكست حقيقة واحدة مخيفة، وهي أن طالبان تتطور نحو الأفضل في كل عام من أعوام التمرد. لذا نتساءل: لماذا سيكون إرسال ٣٠ ألف جندي إضافي مفيدا؟

لقد غزونا دولتين، وتحالفنا مع ثالثة، وجميعها مشتهرة بالنفاق. وفي ظل انجذابنا الآن للدخول في متاهتهم، ما زلنا لا نمتلك الفكرة الأكثر ضبابية، التي يكتنفها ضباب الحروب، حول كيفية عمل هذه الثقافات. قبل ذهابنا إلى أفغانستان والعراق، كانت هاتان الدولتان مشهورتين بثقافات المحاربين. وفي الحقيقة، يعد المتمردون في هاتين الدولتين على مستوى عالمي.

بيد أنه كلما تحاول أميركا تدريب القوات الأمنية في العراق وأفغانستان بحيث تستطيع ترك دولة مستقرة إلى حد ما، تبدو هذه المهمة شاقة ومستعصية تماما، حيث يستغرق الأمر فترات أطول مما يتوقع المسؤولون لدينا. تنقلب القوات التي نقوم بتدريبها ضدنا، أو تنضم إلى الجانب الآخر أو تلوذ بالفرار. إذا أعطيناهم سجنا مشدد الحراسة، كما فعلنا في الآونة الأخيرة في العراق، يتم السماح للمسلحين المنتمين لـ«القاعدة» والمسجونين في هذا السجن بالفرار على نحو مفاجئ.

تباهت الإمبراطورية البريطانية بنفسها بشأن اكتشاف أعراق المحاربين في المناطق التي غزتها، الجوركا والسيخ والبشتون. لكن لماذا تكون هذه ثقافات محاربين فقط حتى نريدهم أن يكونوا محاربين على جبهتنا؟ ثم إنهم ضعفاء وغير قابلين للتدريب، حتى عندما ننفق ٢٥ مليار دولار على بناء الجيش الأفغاني وقوات الشرطة الوطنية، التي وصفتها مجلة «نيوزويك» بأنها «العصابة التي لا تستطيع التصويب بصورة مباشرة».

ولعلنا لا نستطيع فقط تدريبهم لقتال بعضهم البعض. لكن لماذا لا تستطيع الدول التي تنتج حركات تمرد شرسة إنتاج جيوش قوية في فترة زمنية معقولة؟ هل يتعلق الأمر فقط بأن حركات التمرد من الممكن أن تكون أكثر عشوائية؟

لكن الأمور سيئة للغاية لدرجة أن روبرت بلاكويل، الذي كان في فريق الأمن القومي في واشنطن، كتب في «بوليتيكو» أنه ينبغي لإدارة أوباما الإقرار بالفشل أو تسليم الجنوب البشتوني إلى حركة طالبان ما دامت، وبصورة حتمية، لن تسيطر عليه بأي حال من الأحوال. وقال إن الإدارة لا تقدر إلى أي مدى يعد الأمر انتفاضة قومية للبشتون.

لا نزال نسمع أن العقد الماضي من الحرب، الذي أنفقنا خلاله المليارات من أجل بناء العراق وأفغانستان في الوقت الذي تعثر فيه اقتصادنا، قاد إلى إضعاف «القاعدة».

بيد أنه أثناء جلسة المصادقة على تعيينه يوم الثلاثاء الماضي أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، حذر الجنرال جيمس ماتيس، الذي من المقرر أن يحل محل الجنرال ديفيد بيترايوس، من أن تنظيم القاعدة والحركات الشيطانية التابعة له تمثل خطرا صارخا في جميع أنحاء الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

ففي حين نظل في أفغانستان، استطاع تنظيم القاعدة أن يحدث اضطرابات في اليمن «خارجة عن السيطرة»، كما قال ماتيس في شهادته أمام مجلس الشيوخ.

وقال الجنرال إن المناطق القبلية في باكستان «لا تزال الخطر الأكبر حيث إنها معاقل استراتيجية لتنظيم القاعدة وقادته البارزين، بمن فيهم أسامة بن لادن وأيمن الظواهري. ولا تزال أساسية بالنسبة إلى جهود المتطرفين لحشد المقاومة من المسلمين في جميع أنحاء العالم».

وقال الجنرال ماتيس إننا لا نغادر أفغانستان؛ إننا نبدأ «عملية انتقال للقوات الأفغانية». بيد أن هذه العملية لا يبدو مطلقا أنها اجتازت نقطة البداية. وأثناء النقاش حول تمويل الحرب يوم الثلاثاء الماضي، حذر العضو الديمقراطي بمجلس النواب جيم ماكجفرن من أننا في متاهة ضخمة من دون معرفة طريق الخروج.

وأخبر كارل هولس من صحيفة «تايمز»: «تم وضع جميع أجزاء اللغز معا، لكنها ليست صورة جميلة. في الحقيقة الأمور قبيحة هناك».

عن «نيويورك تايمز»

ضرورة الاعتماد على باكستان

ديفيد إغناتيوس

خلال السنوات التسع الماضية التي خاضت فيها الولايات المتحدة الحرب في أفغانستان، كان أي شخص حسن الانتباه يتابع الحرب لديه قلق متكرر: هل تستطيع أميركا الاعتماد على باكستان؟ هل يستطيع حلفاؤنا في هذه الدولة المضطربة إغلاق ملاذات طالبان على الحدود؟ وبالنسبة إلى هذه المسألة، هل يحاول الباكستانيون في الحقيقة القيام بذلك؟

أثار الكشف عن كم هائل من الوثائق المتعلقة بالحرب في أفغانستان الأسبوع الحالي من جانب «ويكيليكس» عددا من الأسئلة، لكن لا شيء أكثر أهمية من لغز باكستان. وعلى الرغم من أن إدارة أوباما قللت من أهمية الوثائق المسربة بصفة عامة، فإن مسؤولين بارزين يتفقون على أن قدرة باكستان على إغلاق الملاذات الآمنة قضية حاسمة تماما.

وقال الجنرال جيم جونز، مستشار الأمن القومي، في مقابلة أجريت معه يوم الثلاثاء الماضي في البيت الأبيض «تعد هذه الملاذات الآمنة علامة استفهام كبيرة من حيث معدل نجاحنا». وأشار إلى أن حركة طالبان والحركات التابعة لها استخدمت هذه الملاذات في أغراض التسلح والتدريب وتنظيم الصفوف وجمع المعلومات الاستخباراتية، مما أربك الاستراتيجية الأميركية.

ونفى المسؤولون الباكستانيون أن وكالاتهم الاستخباراتية تساعد طالبان، وأشاروا إلى الطبيعة غير المكتملة لمعلومات «ويكيليكس». بيد أنه لا تزال هناك حقيقة أن طالبان تواصل العمل بفاعلية من قواعد داخل باكستان، وفي الحقيقة تقوم بتصعيد هجماتها. وما لم يتغير ذلك، فمن المحتمل فشل الجهود الأميركية في أفغانستان. وأشاد جونز بالجيش الباكستاني لتصعيد عملياته في المنطقة الحدودية على مدار الـ١٨ شهرا الماضية، لكنه أكد «هناك أمور كثيرة ينبغي القيام بها، لكن ليس هناك الوقت الوفير».

واعتمد جونز على الرحلات التي قام بها إلى المنطقة على مدار العقد الماضي في تفسير السبب وراء كون باكستان «عاملا حاسما» في جهود الحرب. وأشار إلى أنه من عام ٢٠٠٣ حتى عام ٢٠٠٥، كان الحضور المنظم للعدو في أفغانستان منخفضا نسبيا، حيث كان هناك ١٠٠ من مقاتلي «القاعدة»، و٣٠٠٠ من مقاتلي طالبان هناك.

وقال جونز «لقد جاءت (فترة محورية) عام ٢٠٠٦، عندما قرر الجيش الباكستاني (ترتيب اتفاق) مع زعماء القبائل أتاح لأعضاء طالبان عبور الحدود بحرية من أفغانستان ما لم يقوموا بمهاجمة القوات الباكستانية». وقال جونز، الذي كان قائد قوات الناتو في هذه الآونة، إنه كان «مرتابا» بشأن هذه الهدنة، وحذر الباكستانيين من أنها لن تنجح أبدا.

وأتاح فتح هذا «الطريق السريع من أفغانستان إلى باكستان» لطالبان «زخما كبيرا» من عام ٢٠٠٧ حتى عام ٢٠٠٩، وبدأت الحركة في اكتساب اليد العليا، حسبما ذكر جونز. وهذا الزخم المتواصل هو ما حاولت إدارة أوباما التحقق منه عن طريق زيادة عدد القوات.

وكانت تسريبات «ويكيليكس» ضارة لأنها جاءت في وقت كان فيه مزاج واشنطن بشأن أفغانستان مظلما. بل وحتى المسؤولين من جناح الصقور أصبحوا قلقين بصورة متزايدة من أن النجاح قد لا يكون ممكنا في إطار زمني واقعي.

ويتحدث مسؤولون بالبيت الأبيض في هذه الأيام عن السعي إلى «نهاية مقبولة» في أفغانستان، بدلا من تحقيق النصر. ويعني ذلك عملية ترقيع من شأنها أن تجلب قدرا أكبر من الأمن من خلال جيش وشرطة وطنية أفغانية أكثر قوة، إلى جانب «الشرطة المحلية» المشكلة من القبائل. وسيكون المحرك الحاسم هو عملية سياسية للتوصل إلى مصالحة، تتوسط فيها باكستان بصورة جزئية.

ويتفق مسؤولون بالإدارة على الحاجة إلى مشاركة دبلوماسية مع العدو، لكنهم لا يرون أي دلائل على أن طالبان مستعدة للمشاركة، مع استثناء وحيد ممكن. وأشار جونز إلى أن عناصر من حركة طالبان قد تكون مستعدة للوفاء بشرط أميركي واحد لإجراء المباحثات، وهو التنصل من تنظيم القاعدة. وقال «لم تشترك طالبان بصفة عامة كجماعة في نشاط الجهاد العالمي، ولا يبدو أن لديها طموحات خارج منطقتها».

وأنكر مسؤولون بارزون كشفا آخر ظاهريا لموقع «ويكيليكس»، وهو أن حركة طالبان كانت تستخدم أسلحة محمولة على الكتف لإسقاط الطائرات الأميركية. وقال أحدهم إنه لم ير أي تأكيدات يمكن التعويل عليها لهذه التقارير، لكنه أكد على أن مثل هذه الأسلحة ستكون بمثابة «تغير كبير في هندسة ساحة المعركة». وفيما يتعلق بالإشاعات الأخيرة التي تقول إن إيران قد تكون هي التي تشحن هذه الأسلحة، قال المسؤول إنه ليست لديه أي تأكيدات، لكن إذا دخلت مثل هذه الأسلحة التي تغير قواعد اللعبة في أفغانستان «فلن نكون مكتوفي الأيدي».

ومن الخطأ في العادة محاولة «وصف» صراع بعيد – نجاح أو إخفاق – على أساس معلومات غير مكتملة. لكن في الوقت الراهن، أي مراقب سيقول إن الوضع في أفغانستان يتجه نحو السوء، مما يعني أن استراتيجية مكافحة التمرد لم تحقق نجاحا، وأن صبر الشعب الأميركي بدأ ينفد.

ويعيدنا ذلك إلى إغلاق ملاذات طالبان في باكستان. إنه قدر من الصعوبة الاستراتيجية التي تواجه أميركا بأن هذا الخيار غير المؤكد مع شريك متردد قد يقدم الآن أفضل إمكانية للتوصل إلى «نهاية مقبولة».

عن «واشنطن بوست»

استخبارات واشنطن

فيليب سموكر*

بالرغم من أن جورج واشنطن قد حذر من أن «المؤسسات العسكرية المفرطة في النمو تكون واقعة تحت أي شكل من أشكال الحكم الشؤم على الحرية»، إلا أن التعهدات بحجب الإفراط العسكري تمضي سدى دائما في المدينة المسماة على اسمه (واشنطن).

هناك عدد كبير من الخبراء والمختصين بشئون الاستخبارات والدفاع – بعضهم يستعان بهم من القطاع الخاص – يتقاضون مبالغ ضخمة ومكافآت كبيرة وتوفر لهم سيارات فارهة جديدة ويكلفون الدولة الكثير.

إن شره خبراء الأجهزة السرية ينبغي أن يقلق ويزعج الأميركيين المهتمين بدفاع قوي وكفؤ. وحتى بينما يعاني سائر أميركا من تدهور، يستمر هولاء «الخبراء» في العيش في دعة ورفاهية.

وبالتأكيد، فإن عملاء الاستخبارات الخاصين يؤدون عملا مهما .. فهم يتجسسون على الرجال الأشرار ويفكرون في طرق أفضل لقتلهم. وهم يقدمون المشورة أيضا لكبار القادة العسكريين في أميركا، ويخططون للحروب المستقبلية في أماكن مختلفة.. ولكن جبل واشنطن «الاستخباراتي» المعاد غزله من الأجهزة عالية التقنية والمحلل والمجزأ والمفكك ليناسب رواية أميركا في حالة حرب مع عدو ملغز، يدفن أيضا العمل الجيد الذي يقوم به خبراء «سي آي ايه» اللغويون المدفوع لهم أجر زهيد، والذين يؤدون عملهم في جمع المعلومات في أماكن نائية بالخارج.

من السهل النسيان – وسط الاستعدادات الجارية المستمرة لمزيد من الحروب – أن دفاع أميركا الحقيقي يتطلب سلاما. وكما قال جون كينسي آدمز «إن أميركا لديها رمح ودرع: ولكن الشعار المكتوب على درعها هو الحرية والاستقلال والسلام».

وفي حالة «الحرب على الإرهاب»، يتطلب هذا أيضا إقناع ١,٢ مليار مسلم بأن أميركا تضع أفضل مصالحهم في ذهنها – بالأساس التغيير الديمقراطي وحقوق الإنسان والعلاقة الودودة.

وبينما كنت أسافر وأتجول في أماكن بعيدة من العالم الإسلامي في بحث ميداني استعدادا لكتابي الجديد القادم، عرفت بوجود مآزق رئيسية عديدة تغيظ وتغضب شباب العالم الإسلامي من بلادي أميركا.

فالمسلمون يتساءلون: لماذا ليس هناك اتفاق سلام في إسرائيل وفلسطين؟ وهل يريد الرئيس أوباما حقا استخدام فكره وعقله وقوته لصياغة اتفاق سلام دائم قائم على حل الدولتين؟ ولماذا لا تزال القوات الأميركية تقاتل في أفغانستان؟ ولماذا ما زال أسامة بن لادن يتحرك ويتنقل بين جبال باكستان؟

وهذه الأسئلة المشروعة تتطلب إجابات، ولكن الجماهير في العالم الإسلامي لا يملكونها. وما دامت الأسئلة مفتوحة، ستملأ *القاعدة» وحلفاؤها الفراغ بنظريات المؤامرة. وهدفهم هو إقناع أكبر عدد ممكن من المجندين والمطوعين بحيث لن تود الولايات المتحدة شيئا أفضل من «الاحتلال» الدائم للعالم الإسلامي.

ومن خلال عدسات وردية في واشنطن، ما زالت أميركا تقف من أجل الحرية ونهاية كل قمع.. ولكن ليس ذلك كذلك في العالم الإسلامي، كما اكتشفت.

فـ"الاحتلالان" اللذان يقلقان المسلمين بشدة هما الاحتلال الأميركي في جنوب آسيا والاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية.

ولمصداقيته، يحاول الرئيس الأميركي باراك أوباما إصلاح ما أفسده سابقه جورج بوش من "استخبارات سيئة". وهو عبر عن كراهية الحرب الاستباقية. كما يريد أيضا إنهاء المهمة في أفغاستان وباكستان – وتنظيف عش الفأر كما يقال – والضغط على إسرائيل – بقدر ما يكون ذلك مجديا سياسيا في حياته العملية – لإنهاء احتلالها للضفة الغربية.

يمكن أن يكون هناك تعجب قليل من السبب الذي يظل من أجله الأفغان متشككين في النوايا الأميركية.. على أية حال، فإن الحرب على أرضهم هي الآن أطول حرب في تاريخ أميركا.

غير أن الاحتلال الآخر الرئيسي هو الذي يجهض جهود أميركا في أن ترى فيما يفضل مواطنوها أن تكونه: وهو صانعة سلام.

وطالما أن الصراع في الشرق الأوسط يعترم ويفسد، سيظل الشبان المسلمون عرضة للآراء المتشددة.

لقد أقنعت واشنطن نفسها أنها تواجه "هجوما" و"جهادا" لا شكل له عبر العالم الإسلامي، ولكن نفس هذا "الجهاد" ينظر إليه عادة كـ"دفاع" من جانب الشبان المسلمين.

لقد صاغ عباقرة الترويج والدعاية في "القاعدة" – في مقابل "خبراء الاستخبارات الأميركيين" – حملاتهم الخاصة لتجنيد وتطويع الأفراد ولعبوا على التوجس والخوف. ورسالتهم البسيطة والمباشرة هي: "إن أميركا وإسرائيل تريدكم تحت حذائها".

ولكن من الصعب المحاجة والدفع بتصورات عالمية عندما تكون مشغولا جدا في تبديد مليارات الدولارات على الرجال العباقرة في واشنطن!

* مؤلف كتاب "أخي وعدوي: أميركا ومعركة الأفكار عبر العالم الإسلامي" وقد صدر حديثا، وكتابه السابق بعنوان "هروب القاعدة الكبير".

عن "إم سي تي"